غير ان المحقق الجلاد الذي يشتعل قلبه غيظا امام هذا الطود الشامخ والذي لم يستطع النيل منه لا يرمي سلاحه ببساطة ، فقد يكون المعتقل هذا في نظر المحقق ورجال الامن على جانب كبير من الاهمية ، أو قد تكون لديهم خطة تخريب معينة يصلح هو ليكون بطلها معتقدين ان الاعيبهم يمكن ان تمر مع أي مناضل .

ورجال المخابرات الفاشيين يستعملون اسلوب الحرق والتشهير بسمعة المناضل الوطني أو الافراد مختارين من بين ثلاثة انواع :

١ ــ شخصيات ذوي سمعة وطنية ونضالية عالية: حيث يقوم رجال الامن ببث الاشاعات عنهم بأنهم اجتمعوا معهم وتداولوا معهم في امور سياسية واجتماعية وغير ذلك مما يوحي بأنهم متفاهمين مع السلطة ويتظاهرون بعدائها أمام الناس فقط .

٢ ــ معتقلين وطنيين لم يدلوا بمعلومات اثناء التحقيق معهم : والامر هنا اكثر اهمية لان الوضع الاعتقالي المنغلق اثناء التحقيق والذي لا يمكن المعتقلين من التفاهم فيما بينهم وتبادل المعلومات او نقلها للخارج ، ولان المعتقل في هذه الحالة يصوغ احكامه من خلال مشاهداته ومسامعه واستنادا لملاحظات بسيطة يبني عليها مايشاء وفقا لقدراته الذهنية . فاذا ما كان بعض هذه الملاحظات او المظاهر التي يشاهدها مدسوسة ومتعمدة فقد يبني عليها تصورات خاطئة تسيء لصموده ولصورة رفاقه المناضلين المعتقلين معه . وكما ذكرنا في مكان سابق فان عملية الحرق والتشويه ممكنة من خلال القليل من المظاهر كأن يوضع المناضل المراد حرقه في موضع يثير الشبهة لبضع مرات دون أن تبدو عليه ملامح المعاناة ، ومثال على ذلك يمكن ان تجلس مجموعة من الضباط العسكريين الذين ليس لهم صلة مباشرة بالتحقيق على طاولة مريحة ومعهم احد المعتقلين الذي يتم استدعائه لاي سبب فيراه

هؤلاء الضباط العسكريين ويتكلمون معه بهدوء في مسائل تهمهم ثم يفسح المجال لزملاء آخرين من المناضلين بصورة متعمدة لمشاهدته في هذا الوضع مع الايحاء لهم بانه يتعاون مع السلطات وانه في جلسته هذه وجلسات أخرى يعبر عن هذا التعاون وها هو يدخن السجائر ويشرب القهوة ويجلس مع عد من الضباط ذوي الرتب العالية بهذا الصدد . . .

أن النماذج من هذا النوع تظل بسيطة ويمكن أن يفسرها المعتقلون لبعضهم البعض مع الايام ، وحتى يمكن ان يكون لديهم فكرة مسبقة عن سلوك السلطة هذا . . فوقوف مجندة الى جانب المناضل اثناء التحقيق ، أو اخفاء اسمه تماما اثناء استجواب الاخرين ، أو الايحاء لهم بانه هو الذي وشى بهم قبل الاعتقال ، أو حتى الايحاء بأن احدهم (دون ذكر الاسم) متعاون ويقدم كل المعلومات اللازمة . . كل هذه النماذج ممكن تجنب آثارها مع انها في بعض الاحيان يمكن أن تحدث الخلل المطلوب .

غير أن هناك نماذج أكثر خبثا يعبر عنها رجال التحقيق من خلال فرص افضل تعطى لاحد المعتقلين في التحقيق في المعاملة ، واسقاط بعض التهم التي يكون هو قد اعترف بها وعدم ادراجها في لوائح الاتهام . أن هذا السلوك المقصود يثير التساؤلات حقا ، وحول مسألة التهم الموجهة نفسها من الممكن أن لا يكون المناضل قد اعترف ببعض التهم وبالتالي لا توجه له في لائحه الاتهام ولكن السلطات تلجأ الى الايحاء بانه قد أعفي منها عمدا من قبل المخابرات لاسباب معينة مما يوحي بوجود تعاون متبادل بين الطرفين .

لكن الاكثر خطورة في عمليات الحرق ، أن تعتقل مجموعة مناضلين ويجري بعد فترة قصيرة الافراج عن احدهم رغم وجود شواهد ضده دون الافراج عن الاخرين . . ومهما يكن هدف المخابرات من هذه العملية التي قد تكون طعما أو استكمالا لخطط تتعلق بعمل الحزب